مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 08 / العـدد: 02 (2022)، ص 532- 552

الشعور بمشكلة البحث وانعكاساتها على هندسة البحث الاجتماعي

Feeling the problem of research, and its implications on constructing social research

د. رقاد حليمة[1*]
[1]جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)، مخبر الدراسات الإعلامية والاتصالية،
halima.regad@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/08 تاريخ النشر: 2022/12/25

ملخص:

سنحاول من خلال هذه الورقة مساءلة الأهمية التي تكتسيها خطوة الشعور بالمشكلة البحثية في العلوم الإنسانية، والاجتماعية، في رسم التصورات المبدئية Initial perceptions للطريق التي سيسلكها الباحث نحو الإفادة العلمية، لأن صياغة المشكلة بطريقة موضوعية وعلمية هي بمثابة نصف الطريق نحو حلها، كما سنحاول عرض أهم مصادر الإلهام العلميScientific inspiration الذاتية والموضوعية التي تساعد على وضع محددات وضوابط موضوع البحث، كما سنحاول التركيز على مدى أهمية إعطاء هذه الخطوة المنهجية التي تبنى عليها كل المراحل اللاحقة الوقت والجهد اللازمين ، حتى يتفادى الباحث الوقوع في مشكل انعدام الثقة في جدوى مواصلة البحث في الموضوع قيد الدراسة .

الكلمات المفتاحية: اختيار الموضوع، البحث العلمي، الشعور بالمشكلة، المصادر الذاتية، المصادر الموضوعية.

Abstract:

In this paper we will try to question the importance of the step of feeling the problem of research in drawing the initial perceptions of the path that the researcher will take towards scientific benefit, because formulating the problem in an objective and scientific way is half way to solve it, We will also try to present the most important sources of scientific inspiration, whether objective or subjective, which help to set the limits of the topic chosen, by answering the following question:

What is the importance of feeling the problem? What are the most important sources that

* المؤلف المرسل

help him in setting the limits of his research ?

Keywords: feeling the problem; objective sources; Scientific research; subjective sources; topic selection .

1. مقدمة

إن جوهر فكرة البحث العلمي مرتبط بسعي الإنسان الدائم إلى معرفة واكتشاف العالم الذي يحيط به، وقد ظل هذا الشعور في محاولة الفهم والتفسير ملازما للعقل البشري باختلاف المراحل الحضارية التي مرت بها الحياة البشرية، وانعكس ذلك على رحلة الإنسان في مجال البحث العلمي بهدف التنقيب المنظم والتقصي المنطقي باختلاف مواضيع البحث من خلال اتباع طرق ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها وإضافة الجديد له، الأمر الذي جعل من عملية اختيار مشكلة البحث خطوة أساسية لما لها من أثر على المسار المستقبلي للباحث من جهة، وتحديد قابلية دراسة الموضوع من عدمه، وعلى هذا الأساس فإن المعيار الرئيسي الذي يحدد صفة العلمية في البحوث ،هو ارتباط هذه الأخيرة بمشكلة محددة، وفي حاجة إلى أن تخضع للدراسة . إلا أن اختيار مشكلة البحث لا ينشأ من العدم ولكنه نابع في الأصل من إحساس الذات الباحثة بحاجة علمية مقصدها حل الاستفهام الذي يحيط بفكرة أو موضوع معين سواء كانت مادته نظرية أو تطبيقية، إلا أن البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية عبارة عن تقرير مفصل يقوم شكلا على تبويب و مضمونا على تنظيم للمعلومات، بغاية الوصول إلى نتائج معززة بالحجج، لتقدم الحلول الصحيحة للإشكالية التي يتم البحث فيها. و على عكس العلوم الدقيقة والتجريبية التي تقوم على منطق التجريب والملاحظة و الاستنتاج، فإن العلوم الاجتماعية والإنسانية تؤسس على قواعد مركبة تسمى بمنهجية البحث والتي تسعى بالدرجة الأولى لتقديم نوع من المعرفة يتميز باستيعاب الباحث لإشكالية معينة، ومدى قدرته على معالجة بحث يشعر تماما بمدى أهمية تقديم إجابات على إشكالية من شأنها تقديم حاصل معرفي نظري أو تطبيقي ذو صلة بجوهر يكمن في تقديم فائدة نظرية أو تطبيقية للبحث والواقع الحياتي، الأمر الذي

دفعنا لمساءلة أهمية شعور البحث بمشكلة البحث في هذا الحقل البحثي وهذا من خلال محاولتنا للإجابة عن الاستفهام التالي:

ما أهمية شعور الباحث بمشكلة الدراسة في البحث الاجتماعي؟ وما أهم المعايير التي تساعده في رسم حدود بحثه؟

وللإجابة على الاستفهام السابق تم تحديد المحاور التالية :

1- مفهوم الشعور العلمي بالمشكلة.

2- المصادر الذاتية والموضوعية للشعور بمشكلة البحث في مجال البحث الاجتماعي .

3- أهمية الشعور بالمشكلة كخطوة منهجية لرسم حدود البحث وتحفيز الباحث .

أولا: الشعور بمشكلة البحث، وإثارة هاجس التفكير العلمي:

إن البحث العلمي يُبنى على مجموعة من الخطوات الجوهرية المتسلسلة منطقيا، بهدف إيجاد إجابات موضوعية وعلمية للاستفهام الذي تم طرحه من طرف الذات الباحثة، هذا الاستفهام النابع أصلا من الإحساس بالمشكلة المطروحة التي تعتبر نقطة الانطلاق في رحلة التنقيب العلمي، إن هذا الإحساس بالمشكلة ليس معناه أن يكون الباحث جزءا منها حتى لا يتم كسر المسافة الموضوعية بين الباحث والموضوع قيد البحث، بل هو ضبط لمجال البحث، ووضع للحدود المعرفية للمشكلة البحثية موضوع الدراسة، وبناءها، وصياغتها مفاهيمها، هذه المراحل تعد بمثابة مفتاح سير الباحث العلمي في إعداد دراسته الأكاديمية باختلاف مستوياتها، ودرجاتها (محمد الهادي، 48:1995) .

ولما كانت بداية البحث هي الشعور بالمشكلة، فإنها بذلك تتطلب من الباحث جهدا عاليا ليستطيع ترجمة هذا الشعور وصياغته إلى مشكلة بحثية قابلة للدراسة، بإمكانه من خلالها تحديد المسار المستقبلي الذي سيسلكه، إذ يتحول هذا المشكل إلى هاجس للباحث لا ينتهي ولا يزول إلا بعد إنهاء الدراسة وإتمامها، والوصول إلى تفسيرات للتساؤلات المتفرعة عن الاستفهام الجوهري، لذلك ارتبط البحث في العديد من

السياقات بمفهوم الفجوة التي ندركها والتي نريد ملأها بين ما نعرفه-ونحكم أنه غير مرضي، وبين الذي يجب أن نعرفه، المرغوب فيه (الوضعية المرضية تتوافق مع هدف البحث ومع نهايتها حسب وجهة النظر المتبناة . (Chevrier, 2009 :54)

كما تستمد خطوة الشعور بالمشكلة أهميتها من درجة اعتماد الإجراءات العلمية اللاحقة عليها في تحديد كل العناصر التي تبنى عليها الدراسة، بما في ذلك المنهج العلمي، والطرق، والأساليب الإجرائية، والأدوات البحثية، اللازم توظيفها، (محمد زيان عمر،، 49:2002) وطبيعة المعلومات الواجب البحث عنها، والخلفية النظرية التي تتوافق مع الموضوع محل الدراسة، حيث يذهب "**جون ديوي**" إلى اعتبار أن المشكلة تنبع من الشعور بصعوبة معينة، وهذا الشعور يرتبط بموقف غامض يتحدى تفكير الباحث ويدفعه إلى استجلاء غوامضه والكشف عنه (العساف، 2011 : 166-176)، لهذه الأسباب يتخوف العديد من الباحثين خاصة طلبة الدراسات العليا من خطوة تحديد مشكلة البحث لأنهم واعون، ومدركون أنها تمثل الحجر الزاوية في المشروع البحثي، وأن قيمة البحث من عدمه مرتبطة أشد الارتباط العلمي، والمنهجي بتحديد المشكلة البحثية، في إطار أيّ ميدان معرفي، فلسفي، فقهي، طبّي، فيزيائي، تاريخي، اجتماعي ...الخ، ويصف روبرت ميرتون R. Merton هذه الحالة قائلا: (انك لتعجب كم قضيت من الوقت لأتبين بوضوح نوع المشاكل التي تحتاج إلى بحث، وتفسير، وإنني إذ أعود بذاكرتي إلى الوراء، وبعد أن أتممت أبحاثي بنجاح أرى أن تحديد المشكلات كان أصعب بكثير من أيجاد الحلول لها، إلا إن ذلك لشيء عجيب!) (خير الله عصار،، 42:1982).

بداية حاولنا تسليط الضوء على ماهية **المشكل العلمي**، وأهم الفروق بينه وبين **الإشكالية** في البحث العلمي نظرا للالتباس الذي قد يصادف الباحث في تحديد المفاهيم والمصطلحات، خاصة في مجال البحث الاجتماعي.

2. مفهوم المشكلة البحثية ومدلولاتها في البحث العلمي :

المشكل لغة وكما ورد في المعجم الوسيط : جمعه : مشكلات و مشاكِلُ، وهوُ عند الأصُوليين: ما لا يُفهم حتى يدل عليه دليل من غيره، فالمُشْكِلُ : أَمْرٌ صَعْبٌ ، مُلْتَبِسٌ ، غَامِضٌ، مثال : مُشكِلَةٌ سِيَاسِيَّةٌ : قَضِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى حَلٍّ وَمُعَالَجَةٍ (المعجم الوسيط،، 141:2004)

مشكلةُ البحث هي موضوع الدراسة، أو هي كما عرَّفها القاضي (1404ه) كلُّ ما يحتاج إلى حلٍّ وإظهار نتائج، أو هي تساؤل يدور في ذهن الباحث حول موضوع غامضٍ يحتاج إلى تفسير، (أمجد قاسم ،، 33:2017) فقد يدور في ذهن الباحث تساؤلٌ، ويختفي استفهام البحث بتفسيره أو بإيجاد حلٍّ له؛ فإذا ما توصَّل الباحث لشرح العلاقة بين المتغيرات المطروحة منذ البداية، وتحديد ثنائية التأثير والتأثر بينها فإنَّه يكون قد حلَّ المشكلة في حدودها المرسومة مسبقا ، وعليه يمكننا القول أن مشكلة الدراسة تعتبر جوهر الدراسة ومحورها، ولهذا فان تعد خطوة تحديها ذات أهمية بالغة كونها تبرر الغاية المعرفية والعلمية للدراسة موضع البحث، وتوضح ملامحها المنهجية، وأطرها، ومستويات المردودية التي يسعى الباحث لتحقيها.

وفي هذا المقام وجب علينا تحديد الفرق بين المشكلة «problem» ، والإشكالية «problematic» في البحث العلمي، هذه الأخيرة التي وردت في معجم المعاني الجامع على أنها جمع : لإشكاليات . [ش ك ل].:- طَرَحَ إِشْكالِيَّةً على الْمُناظِرينَ: قَضِيَّةً فِكْرِيَّةً أَوْ ثَقافِيَّةً أَوِ اجْتِماعِيَّةً، تَتَضَمَّنُ الْتِباسًا وَغُموضاً، وَهِيَ بِحاجَةٍ إلى تَفْكيرٍ وَتَأَمُّلٍ وَنَظَرٍ لإيجادِ حَلٍّ لَها، (معجم المعاني الجامع، 2016) وحسب قاموس Petit Robert فقد أورد أنها فن، علم طرح المشكلات " (فضيل دليو، علي غربي،، 73:2012) «l'art, la sciences de poser les problèmes» فهي ليست بشئ يمكن حصره في عنصر واحد أو عدة عناصر، بل تشمل جميع العناصر المكونة للظاهرة في فاعليتها وليس في حالة سكونها (فريدريك معتوق،، 110:1985) .

كما تُقدم الإشكالية على أنها بحث في مشروع (تقرير أو مقالة بحث)، حيث تنطلق أساسا من هاجس الإجابة على السؤال التالي: "لماذا نحن بحاجة إلى تحقيق هذا البحث ومعرفة النتائج التي يقترحها؟" فالإشكالية إذا تزود الباحث بالعناصر الضرورية التي سوف تبرر دراسته . (Chevrier, 2009 :54)

ومنه فالمشكلة هي الموضوع أو السؤال الذي يحيطه الفرض، أو الظاهرة التي تحتاج إلى تفسير الظروف، أو الأحداث التي يسعى الباحث إلى فهمها ، تتولد من الشعور أو الإحساس بوجود صعوبة لا بد من تخطيها، أو عقبة لا بد من تجاوزها، لتحقيق هدف ما. أما الإشكالية فهي تمثل السرد النظري ، للمشكل المطروح، وهي نابعة من قلق حول سؤال علمي جزئي أكثر شمولية، من المهم أن لا يقتنع الباحث بإجابة واحدة لسؤال إشكالية البحث لأن النتائج التي نتوصل لها بعد طرح الإشكال تثير الشكوك بحيث أنها تقبل الإثبات، أو النفي، أو الأمرين معا،(BEAUD Michel,, 34:1985) على عكس المشكل الذي يتطلب جوابا مقنعا من شأنه توضيح الحقيقة.

1.2 معايير الانتقاء العلمي لمشكلة الدراسة في العلوم الإنسانية والاجتماعية :

لبناء الإشكالية بصورة صحيحة يقترح كيرلنغر ثلاث محاور أساسية يجب مراعاتها :

- أن تكون المشكلة متضمنة ومحددة بدقة للعلاقة بين المتغيرات أو أكثر.
- أن تكون مصاغة صياغة واضحة، ودقيقة، بلغة سليمة، وأن تكون في شكل استفهام.
- أن تكون قابلة للاختبار إمبريقيا .

إن توصل الباحث إلى تحديد مشكلة علمية قابلة للدراسة ليس بالأمر الهين، خاصة لدى الطلبة المقبلين على انجاز مذكرات، أو أطروحات التخرج، نظرا لارتباطهم بجدول زمني قد يقتل فيهم أحيانا روح الإبداع، والمثابرة فيطلب بعضهم أحيانا مواضيع وقضايا للمعالجة من المحيط الأكاديمي، الأمر الذي يقلل من تمسك الطالب بموضوعه، من

جهة، ويحد من حماسهم العلمي من جهة أخرى، مما يفقدهم النفس خلال مسار البحث، فالمشكلة تكمن في شيء تريد معرفته أكثر ، سؤال تريد الإجابة عليه، وأهم استفسار ينطلق منه الباحث هو : كيف يمكنني اختيار مشكلة علمية جيدة؟ **How To Choose a Good Scientific Problem?**، على أن تكون خاضعة لمجموعة من القواعد والضوابط المنهجية ، لا ينكر أي باحث مهما كانت درجته العلمية أن خطوة اختيار الموضوع أخذت وقتًا صعبًا في دورة البحث، لأن التخوف من عدم النجاح في "البدء" موجود في كل مكان، ولدى أي باحث مبتدئ يحاول الإجابة عن الأسئلة البحثية الأساسية الثلاثة: أي مجال أبحث فيه؟ ماذا أبحث بالضبط ؟ كيف أبحث ؟، وتعتبر هذه الاستفهامات أمر طبيعي في بداية البحث، بل تعتبر منطقية وضرورية، (Lavarde„ 2008:39) الأهم في ذلك هو إدراك الباحث لأهمية الانطلاقة، و المضي قدما خطوة بخطوة.

أما عن عملية البناء، وفي إطار هذا الطرح يقترح الدكتور الداودي نورالدين في دراسة له بعنوان تقنيات صياغة إشكالية البحث وبالتحديد في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية**Techniques of formulating problematic research**(الداودي،2020: 123)

- إن مسألة تحديد الإشكالية تكون في المرحلة التأسيسية للبحث و أثناء القراءة الأولية لمراجع البحث و بعد تحديد موضوع البحث،
- صياغة الإشكالية هي عملية فكرية مرتبطة بقدرة الباحث على طرح الأسئلة الجيدة من جهة، و مدى مهارته في تركيز و تفكيك الأسئلة من جهة ثانية،
- بناء الإشكالية هو عملية مركبة تنطوي على سؤال مركزي و أسئلة أخرى فرعية،
- وظيفة الإشكالية هي الطريقة الوحيدة للتعبير عن الخيط الرابط بين مسائل البحث وفرضياته الأساسية.

- إحداث قطيعة ابستمولوجية معرفية مع الأحكام المسبقة، والقيمية المبنية على مزاجات ومواقف وميول ذاتية والتي لا تستند على أسس منطقية والتي قد يمررها الباحث عبر عميلة تحريره لإشكالية الموضوع، وهو ما يفرض على الباحث التجرد منها وتركها جانبا – ولو مؤقتا – للتمكن من تحديد وبناء الموضوع على أسس معرفية ومنطقية، وقد أشار "**غاستون باشلار**" إلى ذلك في حديثه عن الواقعة العلمية للظواهر المدروسة بأنها "تغزى وتبنى وتعاين "أي أنها تفتك وتنزع وتجرد من الأحكام المسبقة والذاتية ثم يعاد بناؤها من جديد على أسس علمية ، وبعدها تنقل إلى التحقق والتجربة (بوهناف، 2021: 199) .

نضيف بأن صياغة إشكالية بحث بطريقة جيدة وسليمة يتطلب من الباحث أن يبذل جهدا مميزا، وأن يأخذ بعين الاعتبار مسؤولية حسن بناء إشكالية بحثه، ذلك لأنها تشبه تماما الجهاز العصبي فهي ذات تأثير في كل محاور البحث، وعليه فالإشكالية العلمية السليمة تؤدي إلى بحث علمي سليم يحترم المعايير المتفق عليها منهجيا .

2.2 : مصادر الإلهام في اختيار موضوع الدراسة .

يمكن أن تأتي الأسئلة من العديد من المصادر المختلفة:(Alon,, 04:2009) مثل المحاضرات، والندوات، ومختلف التظاهرات العلمية التي تشهد احتكاكا بين الباحثين الذين تختلف منابعهم العلمية، أو من تجربة قام بها الباحث أثارت أسئلة أخرى خاصة في المجالات المرتبطة بالتجارب المخبرية، أو من مقالات منشورة في المجلات العلمية، أو حتى في الصحف والمجلات غير الأكاديمية. ويمكننا أن نقدم تصنيفا لأهم المصادر المرتبطة باختيار مشكل البحث -وليس كلها- على النحو التالي:

الشكل 01: يلخص بعض مصادر الإلهام في اختيار موضوع الدراسة.

المصدر: من إعداد الباحثة .

1- الدراسات، والأدبيات السابقة Previous researches :

إن التشابك المعرفي خلق علاقة تكاملية بين الدراسات، والبحوث إذ يمكن للدارس، أو الباحث أن ينطلق من التساؤلات والاستفسارات التي انتهت إليها دراسات غيره، كما يساعد التنقيب في الدراسات السابقة على معرفة الأفكار التي تمت دراستها، مما يجعل الباحث قادرا على استبعاد الأفكار المستهلكة، ودراسة الأفكار الجديدة. (أمل سالم العواودة ،، 02:2002) ، ولهذا يتفق الباحثين على أن القراءة المعمقة للدراسات العلمية السابقة تشكل بداية الطريق في أي بحث، لأنها تفتح نافذة حول الموضوع المعالج من قبل باحثين مما يجعلها ثروة قيمة لدى أي باحث تدفعه لطرح العديد من التساؤلات الجديدة والمستحدثة حول الموضوع بطريقة تحفزه وتستهويه للقيام ببحث جديد .

2- القضايا الراهنة Current issues :

إن الباحث ليس في معزل عن المواقف اليومية، والحراك الاجتماعي، social dynamics ،وبالتالي يتولد لديه أفق للنظر في انعكاسات تخصصه على المجتمع، أو المؤسسات المكونة للبناء الاجتماعي ككل، ولذا وجب على البحث أن يلتفت لتسليط الضوء على الظواهر المرتبطة بالمناخ السوسيو ثقافي، والسياسي، الذي يعيش فيه وليس من واجبه إيجاد الحلول دائما، وإنما الباحث – خاصة الاجتماعي- يسعى بالدرجة الأولى إلى فهم الظواهر وعرض العلاقات والمتغيرات التي تحكمها . العلوم الإنسانية والاجتماعية هي تخصصات أكاديمية مكرسة لدراسة المجتمع والاقتصاد والأعمال والحوكمة والتاريخ

والثقافة (LSE Public Policy Group، 2008). تمكن الأبحاث التي أجريت في هذه التخصصات من فهم الحالة الإنسانية للمجتمع والتغيرات التي تحدث في المجتمع وكيفية تأثيرها على الإنسان، فالذات العارفة تتميز بشدة تتبعها وملاحظتها للظواهر والسلوكات والانتباه لها، ولعل هذه الملاحظة للمحيط سواء على المستوى المحلي، الإقليمي، أو الدولي هو مسلك يؤدي إلى استلهام علمي لموضوع بحث معين، بما في ذلك التجارب المعيشة في نطاق اجتماعي أو أسري معين وهذا ما يخلق ميزة تنفرد فيه العملية البحثية في حقل الدراسات الإنسانية والاجتماعية .

3- **توضيح النتائج المتناقضة للبحوث : Clarification of contradictory research results**

إنَّ الاطلاع الدائم على البحوث والدراسات من خلال الكتب والمراجع باختلاف أنواعها ولغاتها ، يولد لدى الباحث رؤية نقدية نابعة من تساؤلات حول مدى مطابقة الحقائق للواقع، ويخلق لديه شكوكا علمية " scientific doubt " تدفعه إلى إخضاع هذه الحقائق للدراسة من جديد بأدوات، ونظريات جديدة ، وداخل سياقات مختلفة من شأنها خلق فوارق في النتائج المتوصل إليها، لذلك على الباحث أن يبقى في عملية تلقي مستمر (كامل حسون جعفر القيم، Exposure Continual(51:2014 لتقديم إضافات علمية .

4- الاهتمام الشخصي Personal interest :

يمكن أن يتم تصنيف هذا العنصر فيما يعرف بالمصادر الذاتية لاختيار مشكلة البحث، أين يهتم الباحث شخصيا بالموضوع دون محفزات موضوعية، وإنما ميولاته الشخصية هي التي تحدد الدائرة التي يختار منها مواضيعه سواء كان ذلك ناتجا عن حالة من الرضا، أو عدم الرضا اتجاه أفكار، أو أحداث غامضة صادفته فيسعى إلى إزالة الغموض عنها وتوضيحها بطريقة علمية مُمنهجة ، كما يجب أن يفهم البحث على لأنه استثمار حقيقي original investigation من أجل الوصول للفهم، والمعرفة، ومن المهم أن يكون موضوع

مشكلة البحث مرتبط بميول الباحث العلمية لان لذلك الأثر الأكبر في نجاح البحث عندما يكون الدافع وراء اجراء البحث ينبع من نفس الباحث وميوله العلمية ورغبته.

5- أراء الأكاديميين والمختصين: Opinions of specialists, and academician:

قد يكون مصدر المشاكل العلمية اللقاءات التي تجمع بين الباحثين في مختلف المحافل العلمية من ندوات، وأيام دراسية، وملتقيات يتم فيها تبادل الرؤى والأفكار، بين مختلف المختصين خاصة أولئك الذين يتمتعون بخبرة علمية، وممارسة منهجية وتكوينية.

فكل طرح فكري متبادل ينجر عنه ولادة أفكار جديدة لم تكن لديه من قبل، خاصة وأن معظم الأفعال الفكرية تكون مصحوبة بردات أفعال فكرية قد تكون في الغالب موازية لها، ولكن مختلفة عنها في الاتجاه، فهو تخصيب فكري يقود إلى طرح العديد من التساؤلات حوله وهو ما يفضي إلى أن يكون مصدر مهم لاختيار موضوع بحث دون غيره بصفة جدية (بوهناف، 2021: 201) .

6- وكالات التمويل Funding agencies:

قد يكلف الباحث أحيانا بإيجاد حلول لمشاكل علمية مقترحة من طرف وكالة تمويل بحثية سواء كانت هذه الوكالات خاصة، أو حكومية .

وهنا يلخص الباحث سعيد سبعون أهم مصادر للمساءلة يمكن أن تكون مصدرا لإلهام الباحث بفكرة يحولها الى موضوع دراسته وهي :

- موضوع لا توجد حوله إلا معارف محدودة أو لا توجد على الإطلاق .
- منهجية استعملت أثناء بحث سابق واكتشفت بها أخطاء كثيرة .
- وجود شك فيما يتعلق بإمكانية تعميم بعض النتائج على وضعيات وأفراد آخرين .
- نظرية أو جزء من النظرية أو نموذج مستخلص منها تأويل ظاهرة لم يتم إخضاعها بعد للتحقيق الميداني (بوهناف، 2021: 201) .

نؤكد في هذه الفكرة على ضرورة أن تُمنح هذه الخطوة وقتا كافيا دون التسرع في تحديد وحصر المتغيرات، على أن يكون الاختيار خيارا فرديا في البداية، نابعا من قناعة

شخصية، وشعور واع بالإشكال، الأمر الذي سيتحول لاحقا إلى الدافع لمواصلة البحث بجدية .

في هذا السياق، ونظرا لتعدد المصادر التي يمكن أن تصادفها الذات الباحثة، ولتحديد مشكلة علمية جيدة ، يمكن للباحث رصد جملة المشكلات التي أثيرت حول فكرة الانطلاق، وكتابتها، ثم اختيار واحدة من شأنها أن تتوفر فيها الشروط الموضحة في الشكل أسفله حسب موريس أنجرس Maurice Angers، خاصة إذا كانت الدراسة تندرج ضمن مواضيع البحث الاجتماعي، أين يتضح أن قابلية الموضوع للدراسة تحكمها شروط مرتبطة بمجموعة الإمكانيات أهمها توافق الموضوع المدروس مع الفترة، أو الآجال الزمنية المحددة لتقديمه في صيغته النهائية مع الأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات المادية المتاحة للوقوف على انجازه، دون إهمال العامل الزمني حول انجاز بحث بداية من الوصول إلى المصادر، والمعطيات التي من شأنها أن تفيد الباحث في كل مراحل انجاز بحثه دون استثناء على الشقين النظري والمنهجي، وصولا إلى جانبه الميداني :

الشكل 02: يوضح مواصفات قابلية الموضوع للدراسة حسب موريس أنجرس

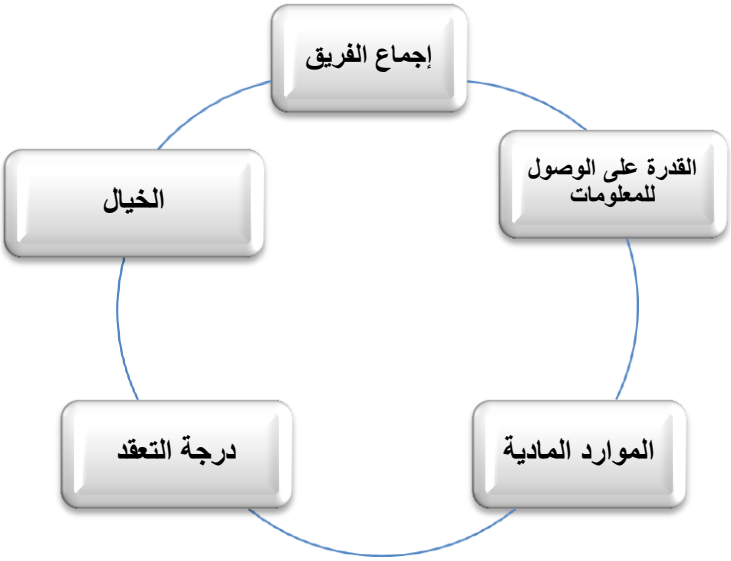

المصدر. (Maurice ANGERS 1997, p 82)

يضيف الدكتور فضيل دليو في هذا الإطار مجموع من الاعتبارات العلمية التي تندرج ضمن شروط قابلية الموضوع للدراسة، والتي يجب على الباحث التأكد منها عند بداية إحساسه بمشكلة معينة للدراسة حتى لا يقع في حالة من العجز لاحقا (دليو، غربي ، 34:2012)، نلخصها فيما يلي :

أ- مراعاة التخصص : Taking into consideration specialization

الباحث ليس له مطلق الحرية في اختيار مشكلات بحثه، (حسن الساعاتي ، 45:1982) وإنما يجب على أفكاره أن تبقى في مجال التخصص الذي ينتمي إليه،فكلما كان الموضوع متماشيا مع تخصص الباحث وتكوينه كلما سهل عليه ذلك انجاز الدراسة بصورة ايجابية لما يملكه من خلفية فكرية ومعرفة في مجال تخصصه، لأن الأمر متعلق بمجموعة من الأدوات المنهجية والأطر النظرية، والمفاهيمية التي ينفرد بها حقل علمي دون آخر.

ب- توفر معنى للبحث من الناحية الاجتماعية : Provides a social meaning

إن اختيار الباحثين، والدارسين للمواضيع، والمشكلات يجب أن يكون نابعا من الحاجة الملحة المرتبطة بما تمر به حياة الأفراد والمجتمعات من مواقف، ومدى تعقد الظروف الاجتماعية حتى لا يصبح البحث في مواضيع لا جود لها ويتحول إلى ترف فكري لا فائدة محققة منه على الصعيد الاجتماعي، لذلك وجب أن يكون الهدف من البحث المعرفة بأحوال المجتمع، دون إثارة أزمات اجتماعية متعلقة بالتعصب، أو التطرف، أو العنصرية مثلا، وإنما يجب أن يكون نابعا من حقيقة اجتماعية، فلكل مجتمع ظروفه وأولوياته .

ت- توفر المراجع مع إمكانية الوصول إلى مصادر المعلومات : Availability of references

إن توفر الكتب والمصادر حول موضوع البحث يقلل من إمكانية إصابة الباحث بالإحباط الذي يعيق عملية التقدم في الدراسة، ولان امتلاك المعلومة مقترن بامتلاك القوة Qui détient l'information détient le pouvoir، فان قدرة الباحث على الوصول إلى المصادر

يكسبه حافزية، واستمرارية لذلك عليه التأكد من هذه النقطة قبل الشروع في الجانب الإجرائي للبحث حتى لا يصاب بالشلل فيما بعد خاصة بالنسبة للباحثين المبتدئين.

ث- الجدة، والأصالة في تحديد المشكلة: Novelty, and originality

على الموضوع الذي يختاره الطالب، أن يفتح ميدانا جديدا للبحث، وأن يتمتع بالأصالة originality، التي لا تعني بالضرورة ابتكار المواضيع، وإنما قد تختلف المشكلات الآنية مع سابقتها من حيث زوايا، وأدوات المعالجة، وعلى الباحث أن يسأل نفسه: ما هي الإضافة العلمية لمجال الدراسة، وللتخصص؟ .

ج- مراعاة الجانب الأخلاقي : Taking into consideration the ethical aspect

على الباحث أن يراعي في انتقاءه لفكرة موضوع البحث العلمي الذي سيجريه، الجانب الأخلاقي من خلال تأكده أن هذا الموضوع يمكن إدراجه تحت بند المواضيع الأخلاقية، ولا يعني ذلك الحد من حرية الباحث في إثارة الفضول حول مواضيع قد تعتبر طابوهات a taboo subject في بعض المجتمعات، ولكن المقصود من ذلك أن يكون الموضوع في إطار النظام العام، فلا يمكن مثلا إقامة بحث لإثارة النزاع، والتمييز داخل مجتمع متنوع عرقيا، ولكن الأجدر إقامة بحوث حول العيش معا وتقبل الأخر، لأن هدف البحث الاجتماعي كغيره من البحوث هو إثراء المعرفة، والعلم من جهة، والارتقاء بالمجتمعات من جهة أخرى ، خاصة وأننا نتحدث عن مجال للبحث يعتبر فيه الفرد الاجتماعي موضوعا، وهدفا في ذات الوقت .

استنادا على ما سبق ذكره، يمكننا التعقيب على هذه المعايير بالقول أن هندسة فكرة البحث مرتبطة بعمليات صنع القرار المنهجي، والأساليب المنهجية منذ البدايات الأولى، بالإضافة إلى البناء النظري للدراسة، لذلك فلابد من إعطاءها الوقت، والجهد الكافيين لتصميم بحث شامل علميا، ومقبول من حيث توفر العناصر السابق ذكرها، وأي خطأ يرتكبه الباحث في اختيار موضوعه قد يقف عائقا بينه وبين إحساسه بمشكلة بحثه، وبالتالي فانه يضعف في القيمة العلمية المضافة التي سُطرت في أهداف انجازه .

3. ماهي الأخطاء الشائعة في اختيار مشكلة البحث؟ وكيف يمكن تجاوزها ؟

يكرر أغلب الأساتذة للطلبة المقبلين على تحضير مذكرة، أو أطروحة جملة : "حددوا موضوعا قابلا للدراسة ، ليجد بالمقابل آلاف الطلاب أنفسهم في صراع مع حجم المهمة التي وضعوا أمامها، متسائلين ما الذي يجب تفاديه حتى لا نجد أنفسنا أمام مواضيع غير قابلة للتنفيذ؟ .

هذا ما سنحاول طرحه من خلال جمع مجموعة من الأخطاء التي سجلناها من خلال تجربتنا المتواضعة في الإشراف على الطلبة المقبلين على التخرج في الطورين الأول، والثاني بقسم العلوم الإنسانية، ومن خلال الأسئلة المتكررة لطلبة الدكتوراه في الورشات المخصصة لمنهجية البحث العلمي التي كنا نسعى لحضورها :

1- اختيار موضوع واسع جدا :

يجب أن يتأكد الباحث من قدرته على التعامل بشكل تام مع المشكلة الموضوعة تحت التحري العلمي، سواء كان ذلك على المستوى المنهجي أو التطبيقي، دون الوقوع في خطأ المواضيع ذات العناوين الرنانة والمجردة، التي تفتقد إلى مؤشرات تتيح له التحليل، والتفسير في ظل حدود معرفية واضحة المعالم، حتى وان تطلب الأمر في بعض الأحيان الإبقاء فقط على معالجة جوانب معينة من السؤال وجعل البحث نوعًا من" الدراسة التمهيدية "التي يجب أن تستمر في بحوث، ومراحل علمية لاحقة ، كإجراء دراسة جزئية من بحث كلي بشكل متعمد في مرحلة الماستر، مع الاحتفاظ بفكرة التعمق في باقي العناصر في أطروحة الدكتوراه، وهنا نعود إلى أهمية الوعي بعملية تحديد الإشكالية لأن ذلك يجنب الباحث الكثير من الجهد و الوقت، فيجنبه منزلق الهدر الزمني المخصص للبحث كأن يكون الباحث قد تقدم في تحليل الموضوع ثم يكتشف أنه قد ابتعد عن الإحاطة بعناصر الإجابة المتعلقة بإشكالية البحث مما يضطر معه إلى إعادة النظر ومراجعته(الربيعي، 2012: 37) .

2- تقبل فكرة التخلي عن بعض الخيارات في بداية البحث:

إذا اتضح للباحث بأن المشكلة التي اختارها للدراسة ضخمة مقابل إمكاناته المعرفية في مرحلة معينة، أو واجه صعوبات في الوصول إلى مصادر المعلومات فمن الأفضل له أن يغير الموضوع في البداية على أن يجد نفسه أما طريق مسدود لا يوصله إلى إشباع فضوله العلمي، ولا يمكنه من إيجاد إجابة لإشكاليته، لذلك في هذا السياق ينصح الأكاديميون بأن يكون للطالب المقبل على اختيار موضوع أكثر من فكرة، في مجال تخصصه حتى لا يبقى أسيرا لاختيار واحد وقد يكون هذا الأخير عقيم، الأمر الذي قد يسبب له إحباطا، وعدم الرضا مما قد يعيق وتيرة انجازه للبحث.

3- قبول موضوع دون الإحساس بمتعة دراسته :

يتمركز الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية حول ذاته، أي أنه يقدم رؤيته للظاهرة الإنسانية المدروسة، انطلاقا مما يحمله في ذاته من مشاعر وأفكار ومعتقدات ترتبط بالتزامه بمواقف فلسفية (بن الصغير، 2014: 25) ، أو مذاهب أيديولوجية أو عقائدية، وهذا ما يجعل الباحث متحمسا في إجراء الدراسة، إضافة إلى الكثير من العوامل التي تخلق الرغبة، والاهتمام بدراسة موضوع دون غيره لدى الباحث، وهي أمور حاسمة في تنفيذ البحث، وتجاوز عوائقه ولذلك لا ينصح بقبول مواضيع مقترحة لا تعني للذات العارفة شيئا، خاصة وأن هذا الموضوع سيصبح جزءا من حياة الباحث ولفترة طويلة، فمن الضروري بالفعل أن يجلب اختيار مشكلة معينة المتعة طيلة مراحل البحث، وأن تُخلق علاقة عاطفية بين الدارس، وموضوع الدراسة.

4- عدم الانفتاح على الدراسات باللغات الأجنبية :

من الأخطاء التي يقع فيها الباحث الاكتفاء بالاطلاع على التراث العلمي بلغته الأم دون توسيع دائرة التنقيب باللغات الأجنبية الأخرى، فيظن أن موضوعه يفتقد للمراجع، أو صعب التحقيق، بل وعلى العكس من ذلك على الباحث أن يتأكد دائمًا من وجود مصادر علمية كافية بلغات متعددة حول التخصص، أو فكرة موضوع الدراسة، للقيام بذلك ،

فينصح هنا بالبحث عن أفضل المجلات العلمية في التخصص، لإلقاء نظرة على أحدث النتائج المتوصل إليها .

5- التسرع، والتحيز في اختيار مشكلة البحث :

إن عناد الباحث في اختيار موضوع الدراسة دون الاستناد على حجج علمية، يولد له صعوبة في الفهم خاصة عندما يصل لاختيار المنهج والأدوات اللازمة التي تتوافق مع موضوعه، ذلك لأنه ركز في اختياره على السطحية المقترنة بالمفاهيم البراقة، وغير المحددة تحديد علميا منطقيا، فيتحيز الباحث في كثير من الأحيان لمفاهيم عنوانه أكثر من تحيزه لفكرة البحث ذاتها، ومن المستحسن في البدايات الأولى إجراء "استطلاعات" أولية للتحقق من أن الموضوع قابل للدراسة، وأن المفاهيم المنتقاة قابلة للقياس، التحليل في إطار علاقة تأثير وتأثر بين المتغيرات خاصة وأن نتحدث عن البحث في مجال العلوم الإنسانية، والاجتماعية .

6- التركيز على نطاق ضيق جغرافيا، وبشريا:

قد يحصر الباحث حدود موضوعه في مجال جغرافي معين دون الأخر، أو في مجتمع بشري محدد من حيث الانتماء والخصائص، (فاطمة عوض، خفاجة، 12:2002)، وقد يذهب أحيانا إلى تضييق البحث من حيث الأساليب الأدوات المنهجية مما قد يشكا عائقا في مواصلة البحث لاحقا، أو يحد ذلك من قيمة ، وعمق النتائج المتوصل إليها .

7- تغليب الدوافع الذاتية على الموضوعية في الاختيار:

حتى وان كان من الأحسن أن يكون انتقاء موضوع البحث نابع من اهتمام شخصي، إلا أنه لا يجب بالمقابل أن تتغلب على العوامل الموضوعيةobjective ، ذلك أن هذه الأخيرة نابعة من تفكير عقلاني علمي، تساعده على ضبط المسافة الفاصلة بينه وبين الموضوع خاصة في ظل ما يطرح من جدل حول حدود الموضوعية في البحث الاجتماعي، كما تساعده على تحديد أفاق الدراسة دون مبالغة، فالباحث الاجتماعي ليس ملاحظا مجردا يقف خارج المجتمع ليرقب عملياته، وإنما هو جزء لا يتجزأ من المادة التي يلاحظها، لذلك

فإن الموضوعية اتجاه التفاعلات الإنسانية في حدوث التفرقة العنصرية في المدارس الأمريكية مثلا أصعب منها اتجاه التفاعلات الكيميائية في أنابيب الاختبار، وهي إزاء الضغط الاجتماعي في الأحياء الفقيرة أصعب منها إزاء الضغط المادي في الفيزياء، أن الارتباطات العاطفية بنظم وقيم معينة تدفع العالم أو الباحث الاجتماعي لأن يوافق على عمليات اجتماعية معينة، لذلك يصعب أن نلغي التحيز والميل الشخصي وملاحظة ظواهر العلوم الاجتماعية (دهمش،1977: 17)

4. خاتمة:

نخلص للقول إلى أن أي بحث علمي بما في ذلك التنقيب في حقل العلوم الإنسانية، والاجتماعية، يشترط في نجاحه رؤية واضحة لما تبحث عنه نابعة من مدى إحساس الباحث بالمشكلة قيد الدراسة، ولكن، غالبًا ما يتم تجاهل هذا المطلب. ومع ذلك ، يتفق الباحثون في المنهجية على هذا الموضوع، حتى وان أصر البعض على أهمية تحديد أهداف البحث، ويوصي البعض الآخر بتوضيح سؤال عام أو تحديد المشكلة ، ويحث الكثيرون على تطوير المشكلة ووضع الفرضيات، إلا أنهم لا يختلفون في أن يكون مشكل الدراسة نابعا من قناعة، واختيار شخصيPersonal choice للباحث دون غيره، حتى وان كان مشرفه، لأن اقتناعه بالموضوع يكسبه إمكانية الدفاع عنه إلى آخر نفس، ولا يجب على الباحث خاصة طلبة الدراسات العليا الاستسلام للضغوط الزمنية، أو الإدارية في تحديد الموضوع، والتي قد تؤدي بهم إلى اختيار مشكلة بصفة عاجلة ليجد نفسه لاحقا في حلقة مفرغة تؤدي به إلى تغيير الموضوع كل مرة، دون الاستقرار على موضوع واحد، و دون تحقيق خطوات إلى الأمام، ولكن الاختيار النابع من الإحساس بالمشكل يولد لدى الباحث مناعة ضد العجز والفشل، وبما أن هذا الشعور يمثل الخطوة الأولىThe First Step في الرحلة العلمية للباحث فمن الضروري أن يكون إقلاعه سليما، وصحيحا تفاديا للخروج عن الطريق المؤدي إلى نقطة الوصول المحددة سابقا ضمن أهداف البحث . ومن خلال هذه الورقة البحثية يمكننا تقديم مجموعة من التوصيات المتعلقة بأهمية الإحساس بمكلة البحث، وحسن اختيارها من قبل الطلبة خاصة المشرفين على انجاز مذكرات للتخرج، وأطروحات دكتوراه :

- إعطاء الوقت الكافي لاختيار موضوع البحث، وضرورة القيام بالدراسة الاستطلاعية للتأكد من قابلية تحقيقه .

- عدم التسرع في إيجاد عناوين براقة للمواضيع دون تحرير الفكرة الجوهرية التي ينطوي عليها مشكل الدراسة .

- العمل برأي المختصين في مجال البحث لما لهم من نضج علمي وخبرة في مجال البحث .

- التأكيد على تكوين الطلبة في مادة منهجية البحث العلمي طوال مراحل التكوين الجامعي .

- الاطلاع قدر الإمكان على الدراسات المنجزة وبلغات متنوعة في مجال التخصص، خاصة تلك المنشورة في مجلات علمية محكمة وعدم الاكتفاء بالأطروحات حتى يكتسب الطالب معرفة بمستجدات البحث العلمي .

5. قائمة المراجع:

1- المعجم الوسيط. (2004). الطبعة الرابعة. مجمع اللغة العربية . جمهورية مصر العربية مكتبة الشروق الدولية،

2- العساف أحمد عارف ، الوادي محمود (2011)، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإدارية - المفاهيم والأدوات، ط1 ، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع،..

3- الداودي نورالدين (2021)،تقنيات صياغة اشكالية البحث ، كتاب أعمال مؤتمر تمتين أدبيات البحث العلمي ديسمبر 2020 ، http://jilrc.com/wp-content/uploads/2021/01/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8 -2020.pdf .

4- أمجد قاسم. (2017). أهمية الشعورُ والإحساسُ بمشكلة البحث العلمي ومصادر المشكلات، مقال كتب في:مجلة التربية والثقافة، منهجية البحث العلمي، ، متاح عبر http://al3loom.com ، تم التصفح يوم 12-05_2019 على 13 سا .

5- أمل سالم العواودة. (2002). خطوات البحث العلمي.(دورة تدريب المتطوعين على المسح الميداني)، الجامعة الأردنية، مكتب خدمة المجتمع.

6- بوهناف عبد الكريم(2021) ، اختيار موضوع البحث في حقل الدراسات الاجتماعية، مقال منشور بمجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، المجلد 13 ، العدد 02، الجزائر، جامعة شلف .

7- حسن الساعاتي. (1982). تصميم البحوث الاجتماعية. نسق منهجي جديد. بيروت دار النهضة العربية .

8- خير الله عصار. (1982). محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي. الجزائر. ديوان المطبعات الجامعية، الجزائر.

9- فاطمة عوض صابر. ميرفت علي خفاجة. (2002). أسس ومبادئ البحث العلمي. الطبعة الأولى. مصر. مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.

10- فضيل دليو، علي غربي. (2012) أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية. جامعة منتوري قسنطينة مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة .

11- فريدريك معتوق. (1985) . منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. .

12- عبد العزيز بن عبد الرحمان علي الربيعي، (2012)، البحث العلمي، حقيقته، و مصادره، و مادته، و مناهجه، و كتابته، و طباعته، و مناقشته، الجزء الثاني، الطبعة السادسة،. ، الرياض المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية

13- كامل حسون جعفر القيم. (2014). المشكلة العلمية وطرق تحديها، شبكة جامعة بابل العراقية، محاضرة متاحة على الموقع الرسمي لقسم الإعلام بجامعة بابل
http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=8&depid=4&lcid=4196
3 ، تصفح يوم 20 -6-2019 على الساعة 07 .

14- محمد الهادي.(1995) . منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية .مصر. الدار المصرية اللبنانية .

15- محمد زيان عمر. (2002). البحث العلمي: مناهجه وتقنياته. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب .

16- معجم المعاني الجامع، متاح على شبكة الانترنت : https://www.almaany.com /إشكالية/، تصفح بتاريخ 18_6_2019 على 17سا .

17- Alon. (2009). How To Choose a Good Scientific Problem, Molecular Cell. pdf , allow on

18- https://www.weizmann.ac.il/mcb/UriAlon/sites/mcb.UriAlon/files/uploads/nurturing/howtochoosegoodproblem.pdf .

19- BEAUD Michel (1985). l'art de la these . Paris. Editions la découverte.

20- Chevrier, J(2009), La Spécification de la problématique Dans B. Gauthier, Recherche sociale : de la problématique à la collecte des données, Québec, PUQ.

21- LSE Public Policy Group (2008). Maximizing the social, policy and economic impacts of research in humanities and social sciences.Report to the British Academy, U.K. (PDF) Research issues in the humanities and social sciences in Africa in the 21st Century: challenges and opportunities. Available from: https://www.researchgate.net/publication/272341735_Research_issues_in_the_humanities_and_social_sciences_in_Africa_in_the_21st_Century_challenges_and_opportunities [accessed Jul 29 2020].

22- Lavarde, A. (2008). Chapitre 3. Du choix du sujet à la question de départ. Dans : A. Lavarde, Guide méthodologique de la recherche en psychologie (pp. 39-58). Louvain-la-Neuve, Belgique: De Boeck Supérieur.

23- Maurice ANGERS. (1997). initiation pratique à la méthodologie des sciences sociales. Alger. Casbah Université.